القصدية كأساس لبناء المعرفة الفينومينولوجية

مباركي عبد العزيز

مخبر الفينومينولوجيا وتطبيقاتها جامعة تلمسان

ملخص:

يتطرق بحثنا هذا إلى موضوع" القصدية"، الذي يعد أحد أهم أسس المنهج الفينومينولوجي، ويتجلى ذلك من حيث استخدامها كعامل محدد لفهم بنية الوعي البشري، نظرا لأهمية القصدية البارزة في البحوث الفينومينولوجية.

نحاول في هذا العمل الوقوف على مفهوم القصدية وإمكاناتها الإجرائية، وذلك عن طريق البحث في أصل ظهور مصطلح القصدية، وتطوره مع " ادموند هوسرل"، فضلا على تطبيقاته الفينومينولوجية.

الكلمات المفتاحية: الفينومينولوجيا، القصدية، المنهج،الوعي، إمكانات.

Summary :

Our researchaddress to the subject of « intentionality », which is one of the most important bases of phenomenological Method, and we can see that clearly when we look how its use here as specific actor to understand human conscience, and because of the clearly importance of intentionality for the phenomenological research .

In this work we try to know what the meaning of intentionality means, and his experimental possibilities, all that with searching in the origin of this concept of intentionality , and his development with “Edmund Husserl”, then we try finally to know some of phenomenological application of intentionality .

Key word: phenomenology, Intentionality, Method, conscience, possibilities.

مقدمة:

لقد سعى "إدموند هوسرل" إلى بناء علم جديد قادر على تلبية متطلبات الفكر الإنساني المعاصر، بعد أن وقف على أن مختلف العلوم والمعارف السابقة، لم تعد تعبر عن إمكانات الوعي البشري،من هنا قدم هوسرل علما جديدا ؛يرى أنه يحمل مجالا معرفيا واسعا لا يمكن معرفة حدوده النهائية،ويقوم هذا العلم على مبدأ الصرامة المنهجية ،محاولا تجاوز مختلف العلوم الأخرى التي تدعى الدقة واليقينية، هذا العلم هو الفينومينولوجيا الخالصة التي يرى هوسرل أنها تمثل خلاص الفلسفة.

نحن نريد أن نقف على بعض معالم هذا العلم، من خلال تطرقنا إلى موضوع يتعلق بآلية منهجية، تعد حسب رأينا المحرك الأساسي للفينومينولوجيا ألا وهي "القصدية"، حيث سنحاول الكشف عن حضور هذا المفهوم داخل الفينومينولوجيا، و كذا دوره في بناء المعرفة الفينومينولوجية. يكمن الإشكال هنا في صعوبة تحديد وظائف القصدية، نتيجة تشعب وتداخل مركبات المنهج الفينومينولوجي، و ذلك بالإضافة إلى عدم اتفاق الباحثين في مجال الفينومينولوجيا حول مكانتها وأهميتها بالنسبة لهوسرل وهذا يجعلنا نقف أمام عدة أسئلة أهمها: ما المفهوم الفينومينولوجي للقصدية؟ وهل تحمل القصدية إمكانات إجرائية تجريبية، تؤدي بالفينومينولوجيا إلى بلوغ المعرفة الحقة؟

1-القصدية والتأسيس للفينومينولوجيا الوصفية:

أ-مصادر ظهور فكرة القصدية:

إن أول ما سنتطرق إليه هو البحث عن مصادر ظهور فكرة القصدية في الفينومينولوجيا الهوسرلية، هنا نجد أن جل البحوث التي قدمت في هذا الصدد تشير إلى أن هوسرل أخذ مفهوم القصدية عن أستاذه "فرانز برانتانو"،لكننا لا نجد الكثير من البحوث تشير إلى مصادر ظهور فكرة القصدية لدى برانتانو نفسه، هذا الذي تأثر بالفلسفة السوكولائية في العصور الوسطى ،التي تأثرت بدورها بشكل بارز بالفلسفة اليونانية ،لذلك سنعود في بحثنا إلى اليونان وبالتحديد مع أرسطو ،الذي كانت له آراء هامة فيما يتعلق بالنفس أو الشعور ،ثم ننتقل إلى فلسفة العصور الوسطى ،أين سنركز على مفكرين يعدان من أهم أقطاب الفلسفة في العصر الوسيط ،ألا وهما :"القديس أوغسطين " و"القديس توما الإكويني".

يرتبط البحث في مجال القصدية بالبحث في مجال النفس ،و لقد كان لأرسطو آراء هامة في مجال النفس ،ظهرت عبر مختلف مؤلفاته خاصة الكتاب الذي خصصه لموضوع النفس الذي سماه "عن النفس "DE ANIMA "،و يمكن لنا الكشف عن معالم فكرة القصدية في فلسفة أرسطو ،من خلال عرضنا لآرائه حول الوعي بشقيه :"الوعي الباطني الروحي والوعي الخارجي المتعلق بالعالم الخارجي ،و أهم عامل يشترك فيه كل من الوعي الداخلي والوعي الخارجي،هو عامل الإدراك ،"حيث أن هناك إدراك داخلي وإدراك خارجي ،أما بالنسبة للإدراك الداخلي الذي نذكر من مظاهره التخيل، الذي يرى أرسطو أنه وسيط بين الإحساس والفكر "[1]..ذلك أن الإحساس ينقل لنا الصور المحسوسة ،و يتم تخزين هذه الصور على مستوى الذاكرة التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالفكر ،"فعن طريق التخيل يتم استحضار تلك

[1]-LambrusCouloubartisis et Antonio Mazzu,Question sur l'intentionnalitéOusia,Paris, 2007,p25.

الصور المخزنة في الذاكرة ،هذا ما يجعلنا نتمثل الموضوع المتخيل على مستوى النفس، و لقد أشرنا سابقا أن النفس عند اليونان ،تعني الشعور ،و العلاقة بين الصورة والفكر هي علاقة قصدية ،ذلك أننا من المستحيل أن نفكر من دون صورة"[1]. من هنا يمكن القول أن أرسطو اكتشف العلاقة القصدية الموجودة بين الموضوع Sujet (الفكر) وموضوعه objet المحسوس (الصورة).

ولقد سعى مفكرو العصور الوسطى إلى تطوير أفكار أرسطو المتعلقة بالقصدية، حيث أن "القديس أوغسطين" سعى إلى اكتشاف طبيعة العلاقة التي تربط الوعي بالعالم وجسدها في فكرة الرؤية ،أين نجده يشير بصفة غير مباشرة إلى أن العلاقة التي تربط الوعي بالعالم هي علاقة قصدية ،ذلك أن العين المبصرة ،و هنا لا نقصد مفهوم العين بالمعنى المادي ،بل المفهوم العقلي المتمثل في الإدراك ،هذه العين تبذل جهدا لإدراك الأشياء ،و هي تبذل هذا الجهد من أجل هدف تقصده.

أما القديس توما الإكويني فلقد حاول التعمق أكثر في بحوثه حول الأفعال العقلية ،من حلال اشتغاله على موضوع التمثل الذي يحقق حسب رأيه الإلتقاء مع الأشياء ،بحيث يتم الالتفات إلى كون الشيء ،فنحن عندما ندرك الشيء نتمثله على مستوى العقل." ويحدث أننا نحتاج إلى استحضار هذا الشيء في موقف من المواقف ،و هنا نعيد تمثله من جديد،و ينتج منه ما يسميه توما الإكويني ب قصدية الشيء المعروف، هنا يجب أن نشير إلى أن النظرية السكولائية في مجال القصدية أخذت معنى موضوع التمثل "[2]،كما يعد توما الإكويني من الأوائل اللذين حاولوا تقديم تعريف للفعل القصدي ،حيث يعرف توما الإكوينيبالتناوب:"القصديIntentio أو الكلام Verbum على أنه منتوج عقلي ،فهو يستخرج مصطلح القصدي Intentio من خلال اضطلاعه على التقنية المنطقية التي عالج بها المفكر العربي ابن سينا موضوع النفس،أما فيما يخص مصطلح "الكلام" Verbum فهو يستخرجه من سيكلوجيا الثالوث الأوغسطينية"[3]

ب-برانتانو,« l'inexistense intentionnelle » .

لقد سعى برانتانو إلى إصلاح الفكر الفلسفي الحديث ،و ذلك عن طريق إيجاد درب صحيح يؤدي إلى تحقيق المعرفة الدقيقة ،و لقد وجد ذلك في "الشعور "،حيث رأى بأن تكوين علم شامل بالشعور سيمكننا من بناء معرفة أصيلة ،لذلك ارتبطت بحوث برانتانو الفلسفية بعلم النفس الذي يعنى بالشعور ،حيث حاول إيجاد ميتافيزيقا علمية ،و هو ما عبرت عنه محاضراته الأولى في جامعة فيينا سنة 1874م،و مقدمة كتابه "علم النفس من نقطة بدء تجريبية"، هذا الكتاب الذي يعد أهم مصدر في مؤلفات برانتانو، حيث يقدم فيه أسس علم نفس جديد ،تبنى عليه مختلف العلوم الأخرى ويرى برانتانو أنه قد نجح في وضع نظرية موضوعية في علم النفس ،و ذلك حينما إكتشف ما يسميه "بعلم النفس الوصفي"،"أما نظريته في القصدية " Intentionality" ،و الأجزاء الأخرى من فلسفته فليست إلا جزءا من علم النفس الوصفي ، "و يرى هوسرل أن تحويل برانتانو لمفهوم القصدية المدرسي إلى مفهوم وصفي في علم النفس، يمثل

[1]-Ibid, p26.

[2]-Jean-Francois Courtine ,La Cause de la phénomenologie,Pressess Universitaire de France,Paris,2007,p19.

[3]- Ibid,p144.

اكتشافا هاما سمح لبرانتانو بدفع علم النفس إلى الأمام ،فضلا عن أنه جعل وجود الفينومينولوجيا ممكنا"[1]،ذلك أن برانتانو وقف على الجانب الذي كان ينقص النظريات الأرسطية والسوكولائية في مجال النفس ،والذي يتمثل بشكل أساسي في عدم قدرة هؤلاء على تقديم تفسير وصفي للظواهر النفسية،و لقد أخذ هوسرل هذا الطرح عن أستاذه برانتانو ،حيث يمكن وصف البحوث الأولى لهوسرل بأنا بحوث فينومينولوجية وصفية.

يكمن تميز برانتانو في قيامه بإحداث تمييز بين علم النفس الوصفي وعلم النفس التكويني،أي إلى التفريق بين الظاهرة النفسية والظاهرية الفيزيقية ،و لقد أعجب هوسرل كثيرا بهذا الطرح حيث نجده يقول في كتابه أزمة العلوم الأوروبية:"هاهنا مقام الإشادة بالفضل العظيم الذي استحقه برانتنو عندما ابتدأ محاولة اصلاح السيكلوجيا بفحص الخصائص المميزة لما هو نفسي(في مقابل ما هو فيزيقي)و إظهار القصدية كواحدة من هذه الخصائص،أي بإظهار أن "علم الظواهر النفسية ،يتعلق دائما بمعيشات الوعي "[2]،حيث أن برانتانو رأى بأن الظواهر النفسية تتصف بولوجها إلى داخل الوجود القصدي L'in-existenceIntentionnélle. لقد أخذ برانتانو هذه الصفة التي تميز الظواهر النفسية من المدرسة السوكولائية ،و يشير إلى ذلك قوله:"أن كل ظاهرة نفسية يتم التعرف عليها من خلال ما أطلق عليه السكولائيون " داخل الوجود القصدي (أو العقلي) L'in-existenceIntentionnélle ،لأي موضوع،و ما يمكن أن نطلق عليه بعبارة غير واضحة بعض الشيء،العلاقة مع المضمون ،التوجه نحو المضمون،أو الموضوعاتيةالمحايثة"[3].

ويعد برانتانو أول من أدخل تعبير القصدية ،إلى الفكر الحديث ،قصد التمييز بطريقة صارمة بين الظاهرة الطبيعية والظاهرة النفسية،"فعندما نفكر في شيء ما ،و عندما نعتقد فإن ثمة شيئا ما يكون موضوعا لاعتقادنا،أما موضوعات هذه الفاعليات القصدية ،فليست في حاجة إلى أن توجد لتتجه هذه الفاعليات نحوها ،بل إن هذا الأمر نفسه هو الدليل على أنها ليست فاعليات طبيعية أوفيزيقية"[4].

ورغم إعجاب هوسرل الكبير بآراء أستاذه برانتانو ،إلا أنه قد انتقده في بعض الجوانب منها تعريفه للشعور القاضي بأنه "الإدراك الداخلي "في مقابل "الإدراك الخارجي "،فيستبدل هوسرل الإدراك الداخلي بالإدراك المطابق Adequate perception،في مقابل الإدراك غير المطابق Inadequate perception ،كما رأى أن برانتانو لم يستطع فهم الطبيعة القصدية للوعي بشكل صحيح.

ج- هوسرل:القصدية والوصف

تعد القصدية الأساس الذي انطلقت منه البحوث الفينومينولوجية ،حيث أننا لا يمكننا إنكار أن قضايا الفينومينولوجيا قد بدأت مع قضايا القصدية،التي أخذها هوسرل عن أستاذه برانتانو ،ذلك أن هوسرل قد تأثر بآراء برانتانو في مجال النفس ،لذلك ارتبطت البحوث الفينومينولوجية الأولى ،بالبحث في مواضيع الشعور ،لكننا لا

---

[1]-.يوسف سليم سلامة،الفينومينولوجيا،المنطق عند هوسرل،دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع،دط،بيروت،2007 ،ص102.

2-إدموند هوسرل،أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجياالترنسندنتالية،ترجمة:اسماعيلمصدق،المنظمة العربية للترجمة،ط1،بيروت ،2008،ص365.

[3]-Husserl(E),Recherche logique,traduit par :Hurbert Elie,2 partie ,tome2,Pressess Universitaire de France,Paris,1962,p168.

[4]- يوسف سليم سلامة،المرجع السابق،ص109.

نقصد المفهوم الكلاسيكي للشعور المرتبط بالمحسوسات ،بل الشعور الخالص في صورته الماهوية المتعالية ،حيث أن هوسرل رأى بأن الشعور هو الذي يعطي للموضوعات المعنى الوحيد الذي تملكه.

إن الشعور بالنسبة لهوسرل يرادف الوعي ،فالشعور بالشيء ،هو وعي بالشيء ،هذا الوعي هو ذو طابع قصدي أي أن القصدية تتيح لنا الإلتفات إلى الأشياء ذاتها ،الذي جعله هوسرل مبدأ المبادئ في الفينومينولوجيا ،يحدث ذلك من خلال إقامة جسر قصدي بين وعي الإنسان وموضوعاته، "ذلك أن كل شعور هو شعور بشيء ،و بهذه المثابة يمكن وصفه مباشرة، و الشعور بشيء هو التضايف المتواصل بين أفعال القصد بجميع أنواعها وبين الموضوع المقصود. من هنا تعد فكرة القصدية بوصفها ماهية الذهني مناوئة لنظرة ديكارت الثنائية إلى العقل باعتباره جوهرا مستقلا قد يوجد بمعزل عن كل موضوع شعوري، ذلك أنه وفقا لدعوى القصدية يعد الكوجيتو*Cogito، وموضوعات الفكر(المفكر فيه) Cogitatum، و حدة لا انفصام فيها"[1]. لم يكتفي هوسرل بالطرح الذي قدمه برانتانو في مجال القصدية، بل عمل على تطويرها، وذلك ما نلاحظه عبر مؤلفاته ،حيث أن القصدية تطورت بتطور المنهج الفينومينولوجي ،و يمكن أن نشير إلى أهم هذه المراحل:

المرحلة الرياضية : اتخذت القصدية في هذه المرحلة طابعا رياضيا وظهر ذلك خاصة في كتاب "فلسفة الحساب"، أين ارتبطت بحوث هوسرل هنا بطبيعة الأعداد والمعرفة الحسابية.

المرحلة المنطقية: هنا نجد انتقال القصدية إلى الصبغة المنطقية، التي ظهرت في كتاب البحوث المنطقية، و لقد كان للقصدية حضور بارز في هذا المؤلف، حيث خصص لها هوسرل حيزا كبيرا من هذا الكتاب في جزئه الخامس.

المرحلة الفينومينولوجية: في هذه المرحلة أصبح للقصدية دور محوري في بناء المعرفة الفينومينولوجية، ظهر ذلك من خلال مؤلفات أفكار أساسية وتأملات ديكارتية، إلى غاية أزمة العلوم الأوروبية.

وكان للقصدية دور كبير في بناء المنهج الفينومينولوجي من خلال اكتشاف هوسرل لعاملين مهمين هما: الفعل القصدي والتحليل القصدي.

أما الفعل القصدي: فلقد اكتشفه هوسرل من خلال تقسيمه للمعيش، حيث قسمه إلى خمس مركبات:

"أولا: الفعل الذي يكون من خلاله الموضوع مرئيا، و نجد هوسرل يعبر عنه في الأفكار بمصطلح "النواز "Noése ".ثانيا :المواقف المتعلقة بهذا الفعل ،ثالثا:المادة القصدية التي تشكل هذا الفعل أي مضمونه،و نجد هوسرل كذلك يعبر عنه في "الأفكار"،بمصطلح "النوام " *Noéme"، رابعا:الملئ الحدسي للرؤية" Lavision "،التي تعد خاصية فينومينولوجية صرفة ،و خامسا: الموضوع القصدي"[2].و يمكن القول أن أهم ما يميز القصدية هو الفعل القصدي المرتبط بالموضوع القصدي.

---

[1] - عادل مصطفي،فهمالفهم،مدخل إلى الهرمينوطيقا ،دار النهضة العربية،ط1،بيروت،2003،ص131.

[2] - Claude Romano,Au cœur de Raison,laphenomenologie,Folio Essais,Paris, 2010,p93.

*النواز" Noése و"النوام"Néme ،مصطلحين مشتقان من لفظتين إغريقيتين :نويسيسNoésis ونواماNoéma،أما النواز ؛فهو مصطلح استخدمه هوسرل للدلالة على فعل العقل أي "التفكر"و أما النوام ؛فهو كل ما يدور في فلك الفكر،فيصبح بهذا المعنى "موضوع الفكر"، لقد ظهر هذين المصطلحين في أعمال هوسرل ابتداء من الفصل الثالث من الباب الثالث لمؤلفه :أفكار أساسية 1913وكما ظهرا في كتاب التأملات الديكارتية ...أين أصبح النواز يعبر عن الأنا أفكر Cogito ،و أضاف إليه هوسرل موضوع التفكيرCogitatum،و الذي أصبح يطلق عليه مصطلح "النوام".

وأما التحليل القصدي: فيرىهوسرل أنه هو أن التحليل القصدي هو العملية التي يتم فيها "الكشف عن الإمكانيات التي تستلزمها الحالات الفعلية الحاصلة "الحالة الحاضرة "للشعور، و هنا يتم من وجهة النظر الوصفية للموضوع القصدي بيان المضمون والتفسير الدقيق والإيضاح الوقتيللمدلول عليه بالشعور"[1].من هنا التحليل القصدي يعطينا إمكانية الوقوف على الإمكانات الإدراكية للشعور الإنساني،من خلال فعل الإدراك القصدي،و قصدية هذا الإدراك.

2-القصدية والفكر التجريبي:

أ-دلالة التجربة عند هوسرل:

يعد مفهوم التجربة من المفاهيم الأساسية في عملية التفكر ،فالتجربة هي تعبير عن ما يستطيع الفكر تقديمه،ذلك أن مفهوم التجربة هو الذي يتيح إمكانية تحقيق المعرفة،لذلك تسعى مختلف العلوم سواء كانت الوضعية أو الروحية ،إلى الإستثمار الأمثل لما تقدمه التجربة من إمكانات ،و بما أن هوسرل أراد للفينومينولوجيا أن تكون علم العلوم ،لا بد لنا أن ندرس الكيفية التي عالج بها هوسرل موضوع التجربة من خلال معرفة موقعها داخل الفينومينولوجيا.

يقدم هوسرل تعريفا أوليا للتجربة في كتابه"التجربة والحكم"،يري فيه أن ":"أن التجربة بمعناها الأولي والأصيل ،تعرف كعلاقة مباشرة من طرف الفرد،إضافة إلى أن الأحكام الأولى في الأنا لديها تجريد فردي ،هي أحكام حول الفرد،أو أحكام التجربة"[2].هذا يعني أن هوسرل يرى أن الوعي الفردي هو الحامل للتجربة وهو الذي ينفذ التجربة ،كما أن الأنا هو الذي يعطي معنى للتجربة ،كما أنه هو الذي يصدر أحكاما عن هذه التجربة ،بالإضافة إلى أنه هو الذي يصدر أحكاما عن الأحكام المتوصل إليها في التجربة،"كما أن التجربة عند هوسرل تفيد التحقق من الحكم ،بواسطة الحدس الأصلي للماهية ،و ذلك عن طريق العودة إلى الشيء عينه.[3]"

-المقومات الأساسية للتجربة: بعد أن حددنا طبيعة المفهوم الفينومينولوجي للتجربة ،ننتقل إلى تحديد خصائص التجربة،حيث يرى "كلود رومانو" "ClaudeRomaneaux" ،"أنه يمكننا تحديد خصائص التجربة كما يلي ،أولا :أن التجربة يجب أن تحتوي على مضمون فينومينولوجي،ثانيا:أن الظاهرة هي مجال ظهور أي شيء،ثالثا:كل تجربة تقوم على شيء ما يعطى لنا،رابعا:تكمن التجربة الأصلية في الإدراك (الوجود في العالم)،أما خامسا:أن ما يظهر من التجربة يمكن اعتباره معطى ،قد نحكم عليه بالإيجاب أو السلب.[4]"

وإذا أردنا أن نعمق بحثنا في المقومات الأساسية للتجربة ،بالإعتماد على الخصائص التي قدمناها الآن،يجب علينا أن نحدد العامل الذي يستخرج قوانين الماهية والأطروحات الماهوية للتجربة في مجملها ،و النقطة الثانية:يجب تحديد

---

[1]-Husserl(E),MeditationCartesiennes,traduit par :Gabrielle Pieffer,et Emanuel Levinas,J vrain,Paris,p85.

[2]-Husserl (E),Experience et Jugement,traduit par :Denis Souche-Dages, Presses Universitaire de France, Paris,1970,p30.

[3]-يوسف بن أحمد ،الظاهرة والمنهج،فينومينولوجياهسرل،مركز النشر الجامعي،دط،تونس، 2008،ص49.

[4]-Claude Romano,Au cœur de Raison,la phenomenologie,p473.

العامل الذي يستخرج القوانين المنطقية والمحضة.[1]" هاذين العاملين يتغيران بتغير الظواهر،فضلا عن أنهما يتغيران بتغير التجربة ذاتها،و لا يمكن تحديدها إلا من خلال تطبيق الآليات الفينومينولوجيةعليها،ذلك"أن الحقائق المادية ،تتعلق بطبيعة موضوعاتها ،لكنها تتعلق كذلك بطبيعة التجربة ،التي تقام من خلال هذه المواضيع.[2]"إن هذا الطرح الفينومينولوجي لمقومات التجربة ،يختلف عن جميع الأطروحات التي سبقته سواء،ما تعلق منها بالآراء الفلسفية ،للفلاسفة اللذين سبقوا هوسرل على غرار "هيغل"و "كانط"،و كذا ما تعلق بآراء العلماء التجريبيين اللذين جعلوا التجربة وكأنها أداة مادية.

-إمكانية التجربة داخل الفينومينولوجيا:يرى هوسرلبعدم وجود تعارض من حيث المبدأ بين الفينومينولوجيا والتجربة ،ذلك أن على الفينومينولوجي حسب هوسرل أن يكون مفكرا ومجربا في نفس الوقت،حيث يقول أن "الحكمة إنما هي صميم عيني كامل نسبيا لفكرة الإنسانية. واضح إذن كيف ينبغي على كل امرئ أن يسعى إلى أن يكون شخصية قادرة على قدر الإمكان وعلى كل نحو ،قادرة في جميع الاتجاهات الأساسية في الحياة،و هي الاتجاهات التي تتطابق،من جانبها مع الأنماط الأساسية للمواقف الممكنة.وواضح أيضا كيف ينبغي على كل إمرئ أن يسعى إلى أن يكون في كل اتجاه ،"مجربا وحكيما".[3]" من هنا نرى أن الفينومينولوجيا تحاول أن تعطي للتجربة طابعا خاصا،مبني على أسس يقينية وخالصة.

ب-هوسرل والتجريبية:بعد أن حددنا رؤية هوسرل لموضوع التجربة ،سنحاول التطرق إلى نظرته للنزعة التجريبية في المعرفة ،وذلك قصد الوقوف على نقاط الإلتقاء ونقاط التعارض بين الفينومينولوجيا والنظرية التجريبية،خاصة أن أصحاب هذه النظرية يدعون الصرامة والدقة التي لطالما سعت الفينومينولوجيالبلوغها،و لمعرفة نظرة هوسرل للتجريبية ارتأينا أن نعرض آراءه حول أهم المفكرين التجريبيين على غرار "جون لوك"،"دافيد هيوم"،"باركلي".

إن أول مفكر يجب أن نتطرق إليه هو الفيلسوف الإنجليزي جون لوك "JonLucke "، الذي يعد من المؤسسين الحقيقيين للنظرية التجريبية في مجال المعرفة،هذا ما جعل هوسرل يخصص له جزءا هاما من بحوثه الفينومينولوجية،خاصة في الجزء الأول من مؤلفه "الفلسفة الأولى"،حيث أكد هوسرل من خلال هذه البحوث على الأهمية الكبيرة للعمل الذي قام به "لوك"،حيث يقول في كتابه "أزمة العلوم الأوروبية":"أن عمل لوك يقدم ذاته كمحاولة جديدة،لإنجاز ما كانت تأملات ديكارت تهدف إلى إنجازه،تأسيس موضوعية العلوم الموضوعية على أساس نظرية المعرفة"[4]،أي أن لوك سعى إلى بناء معرفة صحيحة تستند إلى أسس موضوعية،و ترتبط نظرية المعرفة عند لوك بما يسميه نظرية الأفكار ،حيث حاول من خلال هذه النظرية الكشف عن العلاقة التي تربط الإدراك الإنساني بالمدركات ،و بالرغم من إعجاب هوسرل بآراء لوك إلا أنه انتقده في كثير من النقاط ،من أهمها عدم إدراك لوك للماهية الحقيقية للوعي.

---

[1]-Ibid,p60.

[2]-Ibid,p65.

[3]-إدموند هوسرل، الفلسفة باعتبارها علما دقيقا،تر:محمودرجب، المجلس الأعلى للثقافة،ط1، القاهرة،2002،ص90.

[4]-إدموند هوسرل، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية، المصدر السابق،ص152.

أما باركلي فلقد حظي باحترام كبير من طرف هوسرل،خاصة وأن باركلي قد جمع بين الالتزام الديني المعتدل،و البحث العلمي الجاد،حيث قال هوسرل:"أن باركلي لديه رؤية خاصة للتيلولوجيا ،لكنها تختلف عما كان عليه الحال مع ليبنيز ،فلقد كان تيلولوجيا ومتأثرا بالعلم الطبيعي في نفس الوقت،و ما يجعله أصيلا هو أنه لا يقدم تأويلا تيلولوجيا أو ميتافيزيقيا للمعرفة،بل إنه يقدم مخططا أوليا للدراسة العلمية المنظمة،خالية من الأحكام المسبقة ،كما أنه سعى إلى إبعاد اهتماماته التلولوجية من بحوثه المعرفية."[1] ولقد سعى باركلي إلى الجمع بين المادة الحسية المستقلة الموجودة في الطبيعة ،و العقل الإنساني الذي يعطيها معناها ،و ذلك عن طريق الإدراك، هذا ما جعله يحظى باهتمام كبير من طرف هوسرل.

وأما بالنسبة لدافيد هيوم؛فإنهوسرل يرى أنه"يعد من أهم مواصلي مقصد ديكارت،فهو أول من تنبه لإشكاليته،لذلك فهو يقدم فينومينولوجيا على أنه مبلغ ليقين الأنا أفكر ومجذر له،فهوسرل يحدث قلبا في محور الاهتمام التاريخي ،بعلاقة ديكارت وهيوم ،من علاقة الضد العقلاني بالضد الأمبيري والريبي،إلى علاقة بين القصد (ديكارت) ومجذره (هيوم)."[2]إلا أن هوسرل يرى أنه بالرغم من قوة نظرية هيوم إلا أنه ةقع في الريبية ،و ريبيته شأنها شأن كل الريبيات تعطل البحث المعرفي الصارم ،من حيث أنها ر تشجع على التعمق في البحث ،بل تكتفي بمجرد المعارف العامة والتي لا ترقى إلى ما يتطلع إليه الباحث الأصيل ،كما أنها لا تعبر عن ما يستطيع العقل الإنساني الإقدام عليه،و يقول هوسرلأن"إخفاق هيوم يعود بالضرورة إلى عدم فهمه الصحيح لماهية التحليل الفينومينولوجي المحض، في مقابل التحليل السيكلوجي الذي تبناه،و بالإضافة إلى عدم إستطاعته الوصول إلى ماهية التبرير العقلي،و الذي يمكن الوصول إليه من خلال تحقيق دراسة فينومينولوجية للعلاقات الموجودة بين الأفكار"[3].لكن تبقى آراء كل من "دافيد هيوم" و"جورج باركلي "تحمل أهمية بالغة بالنسبة لهوسرل.

- **مواطن قصور النظرية التجريبية:** إن هوسرل لم يرفض التجريبية من حيث المبدأ، لأنه يتشارك معها نفس الانطلاقة التي تسعى إلى العودة إلى الأشياء ذاتها، بالإضافة إلى اشتراكه معها في محاولة استبعاد كل المغالطات والميتافيزيقيات عن العملية المعرفية، التي لا تعترف إلا بما هو ناتج عن التجربة الأصيلة، لكن التجريبية حسب هوسرل قد حرجت عن مسارها المعرفي الأصيل، و غرقت في مغالطات وميتافيزيقيات من نوع جديد ،ما أدى إلى انتهائها إلى ريبية عقيمة. سنحاول أن نتطرق الآن إلى أهم مواطن قصور التجريبية بالنسبة لهوسرل، من حيث أن أول ما آخذه على التجريبية، هو أنها" تخلط بين مطلب العود إلى الأشياء عينها، كمنطلق مشروع لكل معرفة، و مطلب تأسيس المعرفة بكليتها على التجربة. وهذا الخلط الفلسفي هو الذي حمل التجريبية على أن تجعل المعرفة معرفة

[1]-Husserl (E) ,philosophie premier,tome 1,Histoire Critique des Idées, Traduit par : Avrinolkelkel, presses universitaires de France ,Paris,1970,p222.

[2]-محسن الزارعي، ادموندهوسرل، الفينومينولوجيا والمسألة المثالية، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ط1،بيروت،2010 ،ص92.

[3]-Husserl (E),Experience et Jugementtraduit par :Denis Souche-Dages, Presses Universitaire de France, Paris,1970.,p479.

طبيعية تشرع حقا مع التجربة، لكنها تبقى مبررة في حدود التجربة وحدها.[1]"هذا ما جعل المعرفة بديهية، بما أنها تفهم بطريقة طبيعية، لكن هذه البداهة في حد ذاتها هي بداهة مغلوطة وملتبسة.

ج - الوعي القصدي والوعي التجريبي: لقد عمل هوسرل قبل تقديم مفهوم فينومينولوجي للوعي، على قراءة وتلخيص مختلف المفاهيم التي ظهرت عند المفكرين السابقين، و لقد رأى في البحوث المنطقية أن هناك ثلاثة مفاهيم للوعي تدخل في اهتمامنا كفينومينولوجيين؛ "المفهوم الأول: يتمثل في دراسة الوعي بوصفه جملة مركبات فينومينولوجية حقيقية للأناالإمبريقي، أي بوصفه نسيج المعيشات النفسية في وحدة تيار المعيشات ،و المفهوم الثاني:يقوم على دراسة الوعي بوصفه الإدراك الداخلي للمعيشات النفسية الخاصة،أما المفهوم الثالث:فيتمثل في دراسة الوعي بوصفه الموقع المنشود لكل صنف من الأفعال النفسية للمعيشات القصدية"[2]،ونرى من خلال اهتمام هوسرل بهذه المفاهيم الثلاثة،أنه حاول أن يقيم دراسة شاملة للوعي الإنساني في كليته،ذلك أنه سعى إلى إقامة معرفة واعية بالمركب الجسمي للأنا،بالإضافة إلى دراسة المركب النفسي لهذا الأخير،بالإضافة إلى محاولة تقديم دراسة وصفية فينومينولوجية لمختلف الأفعال السابقة عن هذين المركبين،ذلك أن هوية المجال الفينومينولوجي،تتحدد من خلال دراسة مختلف أفعال الوعي في تضايفها،بوصفها ليست فاعلا فينومينولوجيا خالصا فحسب،بل هي في ذاتها شيء ما لمعطى فينومينولوجي،يحمل طابعا فعالا في التجربة الفينومينولوجية ذاتها"[3].

يعد مفهوم الوعي مفهوما مشتركا بين كثير من العلوم ،حيث نجد الكثير منها تقدم له معنى محدد حسب إطارها المعرفي؛فنجد علوما تسبق الفينومينولوجيا في البحث في هذا المجال، على غرار علم التاريخ،علمالإجتماع،الأنتربولوجيا،و خاصة علم النفس التجريبي،الذي يلتقي بقوة مع الفينومينولوجيا،لكنهوسرل يرى أن هذه العلوم "لم تجعلنا أكثر معرفة،فهي لا تعطينا معرفة أصيلة،هي فقط تجعلنا نقدم عملا حسابيا لنشاط الطبيعة،لكنها لا تجعلنا نقف على ماهيتها الحقيقية ،فهي تعطينا معرفة محدودة لبعض الحالات والانفعالات ،تقدمها لنا كقوانين أو قواعد مستقلة"[4].

3-من تجربة القصدية إلى قصدية التجربة:

أ-الإمكانات التجريبية للقصدية:

نحن نسعى في عملنا هذا إلى الكشف عن إجرائية جانب معين من الفينومينولوجيا ،و المتعلق "بالقصدية" ،الذي يعد المحور الأساسي لموضوع بحثنا ،و بالتالي سنحاول معالجة موضوع :الإمكاناتالتجريبية للقصدية ،حيث سنكشف عن المقومات الإجرائية والتجريبية للقصدية ،هذا من ناحية،ومن ناحية أخرى سنحاول إبراز الكيفية التي استغل بها "ادموند هوسرل" هذا المركب الأساسي داخل الفينومينولوجيا .يحملهذا العمل طابعا من التشعب والتداخل ،ذلك أننا سنحاول الكشف عن إجرائية الوعي من خلال الوعي ذاته.

---

[1]-يوسف بن أحمد، المنهج والظاهرة، المرجع السابق،ص90.

[2]- Husserl (E),Recherche logique,p145.

[3]-NatalyDepraz, La conscience, Armonde Colin, Approches croises des classique aux science cognitives, Paris,1970, p181.

[4]-Husserl (E), Sur le Renouveau, Cinq Articles, Traduits par :Laurent Jounier ,librairie philosophique JVRIN,Paris,p135.

-القصدية عملية احتواء للموضوع وابرازه:إن أول ما يؤكد على إجرائية القصدية هو مدلولها الأساسي؛"أنها وعي بشيء ما"،وهو ما يؤكد على أنها تستطيع احتواء الموضوعات التي تظهر للشعور،إذ أننا لا يمكننا أن نجري فحصا أو تجربة على المواضيع من دون احتوائها داخل الوعي ،بالتالى تعطينا القصدية إمكانية تحقيق التجربة عن طريق ضمان الارتباط بين مختلف الظواهر ،"بل أن التلاحم بين فعل القصد وموضوعه، يستتبع وجود سمة أخرى للقصدية تتمثل في أنها عملية ترقب مستمر ContinuousProtention،يكون فيها الشعور بكل أفعاله الإدراكية على أهبة الاستعداد باستمرار لأن يقتنص الموضوعات التي تظهر في مجال الشعور وفي آفاقه القصدية ليحيلها إلى مدركات ذاتية تتسم بالطابع الماهوي،ذلك أن شفافية الشعور تعنى بالضرورة أنه في حالة ترقب مستمر ،لإدراك أي موضوع يظهر أمامه في نطاق الإدراك الممكن*.

-تحقيق الإرتباط بين الأفعال والموضوعات داخل الوعي:."إن خاصية الترقب الشعوري للأفعال القصدية ،و الإحالة المستمرة إلى المدركات المستقبلية التي سوف تظهر في مجال الشعور القصدي،تعنى أن القصدية تقوم بعملية ربط مستمرة CountinousConnecting،سواء بين الموضوعات المدْرَكَةِ والأفعال المدرِكَةِ من جهة أو بين الحالات المدركة بالفعل والحالات الجديدة المتوقعة ،و المرتبطة بها في التيار الشعوري من جهة أخرى ،حيث تصبح كل هذه المدركات في صورة مترابطة وتسلسل واضح له معنى مفهوم ومحدد"[2].و هذا معناه أن القصدية تقوم بتركيب موضوعات الوعي مع بعضها البعض ،و تقوم فضلا عن ذلك بتصنيف أفعال الإدراك ذات الطابع القصدي المحض ،لتكون لنا معيشات معرفية يمكن التحقق منها تجريبيا.

-عملية الكشف عن المعنى الحقيقي للموضوع:تضمن لنا القصدية الفينومينولوجية ،إمكانية بناء رؤية واضحة عن الموضوعات،و ذلك من خلال ربطنا بها بشكل مباشر،بحيث تصبح حاضرة في وعينا ،و بذلك نستطيع أن نكون فهما صحيحا عن العالم ،حيث يرى هوسرل" أن العالم هوموضوع التجربة الممكنة ،ذلك أنه اكتشف امتداد مفهوم التجربة في تضايف مع مفهوم البداهة ،متجاوزا الرؤية المحدودة التي كانت لدى سابقيه في هذا المجال"[3].إن المفهوم الفينومينولوجي للتجربة يختلف عن المفهوم الكلاسيكي عند المفكرين ،ذلك أن التجربة بالمفهوم الفينومينولوجي يتجاوز الواقع الفعلي."التجربة هي وعي بالمعيشات في وجودها ولا وجودها الواقعي،فالتجربة من وجهة النظر الفينومينولوجية، ليست مجرد إدراك حسي لشيء ما ،إنما تزيد عن ذلك، إنها تجعل هذا الشيء موضوعا مدركا من خلال اعتقاد معين Doxa،ينصب على الشيء بوصفه موجودا ،أي أن التجربة عبارة عن وضع واعتقاد معا [4].

---

[1]-سماح رافع محمد،،الفينومينولوجيا عند هوسرل،دار الشؤون الثقافية العامة،آفاق عربية،ط1، بغداد،1991 ،ص193.

*"الممكن"هو بوجه عام ما يجوز وجوده وعدمه،و هو منطقيا لا يشتمل على تناقض ذاتي .و"الإمكان الميتافيزيقي هو الذي يكون خاليا من كل تناقض ذاتي والذي يكون موافقا لقوانين الوجود ،و الإمكان صفة لكل ما هو ممكن وتقابله الضرورة والاستحالة أو الامتناع .ففي حين أن الاستحالة هي صفة ما لا يمكن أن يكون ،و الضرورة هي صفة ما يجوز أن يكون أو لا يكون.فالممكن ليس في وجوده تناقض وليس في عدم وجوده تناقض ،و المستحيل هو الذي يكون في وجوده تناقض .و الإمكان من جهة أخرى هو احدى مقولات كانط المقابلة لمقولتي الضرورة والواقع.جلال الدين سعيد،معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية،دار الجنوب للنشر،دط، تونس،2004 .

[2]- سماح رافع محمد،المرجع السابق،ص194.

[3]-SouchDagues,ledevelopement de l'intentionalité dans la phénoménologie husserlienne,p109.

[4]-سماح رافع محمد،المرجع السابق،ص195.

ب-القصدية والرد الفينومينولوجي:

إن اشتغالنا على تأمل مجال القصدية ،ووقوفنا على إمكاناته المعرفية ، يقودنا إلى الانفتاح على ما يقدمه المنهج الفينومينولوجي،ذلك أننا إذا ما كنا قصديين في قراءة القول الهوسرلي ،وجب أن نعي مختلف الآليات المنهجية التي تقدمها الفينومينولوجيا ،و لعل من أهمها ما جاء في الإيبوخيه(epoché) والرد الفينومينولوجي.

-مفهوم الإيبوخيه والرد الفينومينولوجي: لقد استخدم هوسرل كلا من الإيبوخي والرد ضمن قالب واحد،لذلك نجدهما يعبران أحيانا عن نفس الشيء ،لكن بالرغم من ذلك فإننا نجد مفهومين متمايزين لكل منهما. فالإيبوخي :"هو مصطلح مشتق من الإغريقية ،استعمل بكثرة من طرف هوسرل،و هو يقدم له تعريفا بسيطا في الحقيقة ،حيث يرى أنه الموقف الذي يسقط عن الموضوع جميع الأحكام الخارجية عنه،كما يوقف اتخاذ المواقف النهائية ،قصد تحرير رؤيته"[1]. أما بالنسبة للرد الفينومينولوجي ،فلقد استخدم كذلك هذا المصطلح كثيرا في مختلف مؤلفاته ،لكنه اتخذ عدة أشكال في مؤلفاته ،ما جعنا نتكلم عن ردود فينومينولوجية وليست ردا واحدا،لكن قراءتنا لمختلف هذه الردود التي ظهرت في مؤلفات هوسرل ،تجعلنا نستنتج أنها تشترك في ماهيتها الأساسية وتختلف فقط في طبيعة استخدامها من مجال معرفي لآخر،و يمكن القول أن المفهوم الشامل للرد الفينومينولوجي هو "الاسم المفرد والموحد لجملة من العمليات الفينومينولوجية ،هي تتمايز وتتجاوز بعضها البعض ،لتكون الدرجات والمحطات المنهجية التي سيرتقي عبرها وبواسطتها الفيلسوف الفينومينولوجي المبتدئ من الحياة طبق الموقف الطبيعي ،إلى الكشف الفلسفي عن منطقة الوعي المحض الذي سيتولى التقويم المتعالي، لكن لا يتم ذلك إلا بعد إجراء الرد فقط وبحث بناه الأساسية ومشاكله الوظيفية"[2].

-تفاعل القصدية والرد داخل المنهج الفينومينولوجي:

إن للرد طابعا قصديا ،حيث أن القصدية بما هي الوعي بالشيء،و الرد يقوم برد ذلك الشيء،فالقصدية من هنا تقضي بأن نعي ما هو مردود،و هذا ما جعل هوسرل يتجاوز الطرح الديكارتي ،ذلك أن الرد من دون وعي يقودنا إلى شك سلبي لا نجني منه شيئا،بيد أننا حينما نعي ما نقوم برده،نحصل على متبقي خالص، يجعلنا نقف على الأرض الترنسندنتالية.من هذا المنطلقفإن كلا من القصدية والرد ،يعملان على الوصول إلى المعرفة الفينومينولوجية، القائمة في الأرض الموعودة ،أرض الوعي الخالص،بالتالي نجد هوسرل يستخدم كلا من الرد والقصدية في توافق وانسجام،"فالترنسندنتالي،يفيد حالة عدم وجود الموضوع وجودا فعليا reell في فعل المعرفة أي في حقلها المحايث. فالتفكيرcogitatio يتشكل فعليا من بنى ولحظات أساسية،لكن الشيء الذي يقصده التفكير ،و الذي يسعى لإدراكه "الحاضر"،أوتذكره"الماضي"،أو تخيله "المستقبل"،لا يوجد فعليا في التفكير ذاته كجزء من أجزائه ،و لا يكون أيضا في التفكير كشيء ما موجود حقا فيه"[3].

إن القصدية والرد الفينومينولوجي في الحقيقة،هما آليتان منهجيتان متكاملتان ،هذا التكامل ناتج عن عدم استطاعة هوسرل الوصول إلى منطقة الوعي المحض ،من خلال استخدام أحدهما فقط.حيث"إن الكشف

---

[1]-Jean Pierre zarader,le vocabulaire des philosophes,ellipses,France, 2002 , p 121.

[2]-يوسف بن أحمد ،الظاهرة والمنهج،فينومينولوجياهسرل،مركز النشر الجامعي،دط،تونس، 2008،ص145.

[3]-المرجع نفسه،ص 170.

الفينومينولوجي عن الوعي لن يصبح ممكنا إلا بفصل منطقة الوعي المحض فصلا جذريا عن العالم الطبيعي،فطالما أن الإنسان يحيا ويفكر في إطار الموقف الطبيعي،فإنه ككائن طبيعي يظل سجين المرحلة ما قبل الفينومينولوجية،ذلك أنه في الموقف الطبيعي يكون الوعي وعيا طبيعيا وشيئا مقوما، بدل أن يكون وعيا متعاليا ومقوما، وتكون القصدية ذاتها قصدية نفسية طبيعية،عوضا أن تكون قصدية متعالية"[1].

ج-القصدية طريق إلى التجربة المحضة:

-القصدية وإمكانية الفهم الشامل للتجربة:

إذا ما أردنا أن نصل إلى التجربة المحضة أو التجربة ذاتها ،لا بد لنا بادئ ذي بدئ أن نكون فهما صحيحا عن التجربة،و يعد الفهم فعلا من أفعال الوعي ،و لقد أشرنا سابقا أن الوعي ذو طابع قصدي ،من هنا تصبح القصدية طريق إلى فهم التجربة،ذلك أن مفهوم القصدية عند هوسرل:"يرتبط بفكرة التعالق بين فعل الوعي وموضوعه ارتباطا وثيقا .إن الوعي ليس وعاءا محايدا إزاء ما يمكن أن يملأ به ،بل إنه يتكون من أفعال يتحدد طابع كل منهما حسب نوع الموضوع الذي يتعلق به،و الذي لا يمكن أن يظهر للوعي،إلا في كيفيات العطاء المناسبة له"[2].بالتالي يقوم الوعي بعملية معالجة موضوعات التجربة والحكم عليها عن طريق القصدية،فالفينومينولوجيا تسعى إلى تكوين معرفة شاملة وصارمة عن موضوعات التجربة بشكل كامل، ومن دون استثناء أي جانب من جوانب التجربة ،حيث يتم نقل هذه التجربة من المستوى الطبيعي إلى المستوى العقلي الخالص.

يرى هوسرل أن الفينومينولوجياوحدها،قادرة على تقديم نظرة شاملة للتجربة،هذه التجربة التي لا تعد مستقلة ،بل هي تعبير عن علاقة الأنا بالوجود،حيث يرى هوسرل" أنه لا يمكن فهم هذه العلاقة إلا بوصف الوجود متضامنا مع الشعور، بوصفه شيئا مقصودا وفقا لطريقة الشعور، أي بوصفه مدركا، أو متذكرا، أو متوقعا أو متمثلا على هيئة صورة ذهنية، أو متخيلا أو متعينا ،أو متميزا، أو معتقدا فيه، أو مظنونا، أو مقوما...إلخ"[3].

إن الفينومينولوجبا تسعى للوصول إلى المعنى الحقيقي للتجربة، حتى تتمكن من بلوغ المعرفة الصارمة، حيث تحاول احتواء التجربة داخل الوعي قصديا، بحيث تصبح التجربة متضمنة في الوعي قصديا، هذا التضمن القصدي الذي يستخرج في كل الأحوال من طرف التحليل القصدي، هذا يعنى أن علاقة الوعي بموضوعه، لا تتخذ طابعا خارجيا مستقلا، بل هي ولوج إلى الموضوع، حيث أن الموضوع هنا هو ظاهرة تعود إلى الوعي، و من ناحية أخرى؛ الوعي هو وعي بهذه الظاهرة "[4].

ب -الطابع القصدي للتجربة:

لقد سعى هوسرل في مؤلفاته الأخيرة، إلى إعطاء إجرائية أكبر للفينومينولوجيا، و ذلك من خلال سعيه إلى تحقيق التجربة الخالصة، و الذي يتجاوز من خلالها أي نوع من المعطيات المعرفية المعروفة حول التجربة ،حيث يمكن القول "أن الفكر الفينومينولوجي بعامة يرتد إلى ضرب من التعلق الأصلي بنزعة وضعية ،قد وجد هوسرل أفضل

---

[1]-يوسف بن أحمد ،الظاهرة والمنهج،فينومينولوجياهسرل،المرجعالسابق،ص 170.

[2]-ادموند هوسرل،أزمة العلوم الأوروبية،المصدر السابق،ص16.

[3]-ادموند هوسرل،الفلسفة علما دقيقا،المصدر السابق،ص40.

[4]-Jean François Lyotard,laphenomenologie,pressese universitaire de France ,tome11, Paris,p30.

تعبير عنها في محاولة "أفيناريوس" avenarius وضع ما سماه "نقد التجربة المحضة"، التي تعد المحصلة الفلسفية من العودة برؤية العالم إلى الصعيد الطبيعي غير الميتافيزيقي، لظهور الأشياء عارية من الإضافة والزيادة والتأويل، منبسط وجودها في صفائه الأول"[1].

إن التجربة البسيطة التي يعطى فيها عالم العيش، هي الأساس الأخير لكل المعرفة الموضوعية. و في تعالق مع ذلك، هذا العالم ذاته الموجود أصليا بالنسبة لنا قبل العلم انطلاقا من التجربة وحدها ،يقدم مسبقا في نمطيته الماهوية اللامتغيرة، كل المعطيات العلمية الممكنة"[2].من هنا فلقد سعى هوسرل إلى إحداث بدء جذري أصيل، يرتقي بالفينومينولوجيا إلى مرتبة معرفية أعلى مؤسسة تجريبيا، "حيث تبين لهوسرل أنه أفق فينومينولوجي بالغ الأهمية لتأسيس الفلسفة تأسيسا تجريبيا ،أن يقطع السبل منذ البدء على المحاولات اللغوية ،من أجل الإحاطة بالأشياء إحاطة مباشرة حضورية بالإدراك والحدس ورفع القول فيها إلى رتبة اعتبارية علمية ،ذات شأن وترتيب ووجاهة فكرية[3].

لقد أراد هوسرل من خلال الجمع بين تجربة عالم العلم الطبيعي، و كذلك تجربة عالم الحياة، إعطاء التجربة عالما طابعا فينومينولوجيا خالصا، ألا وهو الطابع القصدي، ذلك أن العلم الطبيعي يفتقر إلى قصدية الوعي بالتجربة، التي يقوم بها الفينومينولوجي، حيث أن عملية التجربة بحاجة إلى تحليل الوعي، الذي يسهر على انجازها، و ذلك حتى لا تخرج عن هدفها المتعلق أساسا بخدمة المعرفة، هذا التحليل للوعي لا يمكن أن يكون إلا تحليلا قصديا.

حيث يرى هوسرل: "أن القصدية هي ما يميز الوعي بالمعنى الأبرز للتمييز ،و هي ما يبرر في الوقت نفسه كون تيار التجربة كله تيار وعي ،و يبرر وصفه بكونه وحدة وعي ما ،فنحن نعني بالقصدية خاصة التجارب المتمثلة ،في كونها وعيا بشيء ،و في المقام الأول تعترضنا هذه الخاصية العجيبة، التي تعود إليها كل الألغاز النظرية العقلية والميتافيزيقية، في فكر (كوجيتو) ضمني ،فأي إدراك لشيء ،مثلا: إدراك لشيء من العالم ،و كل حكم في أمر ما ،و كل تقويم تقويم أمر ما، و كل إرادة لأمر ما ..إلخ"[4] .بالتالي من حيث أن كل وعي وعي بشيء ما ،فإن كل وعي بالتجربة ،هو وعي يتعلق بتجربة ما،و هذه التجربة بحاجة إلى تحليل ،و الذي يجب أن يكون تحليلا فينومينولوجيا ،هذا التحليل الفينومينولوجي قائم على القصدية.

خاتمة:

لقد حاولنا في هذا العمل تقديم رؤية واضحة عن جزء من المنهج الفينومينولوجي، من خلال تطرقنا لموضوع "القصدية" وإمكاناتها الإجرائية داخل المنهج الفينومينولوجي، و لقد وقفنا على عدة نتائج من أهمها :أن التفكير في مجال القصدية من ناحية المفهوم وليس المصطلح ،يعود إلى ما قبل العصر الحديث مع برانتانو، حيث كانت له إرهاصات في الفلسفة السوكولائية في العصر الوسيط، بالإضافة إلى وجود إشارات تعود إلى الفلسفة اليونانية مع أرسطو، أما بالنسبة لهوسرل فلقد عمل على توسيع مجال بحوثه في القصدية التي أخذ مبادئها عن أستاذه برانتانو،

---

[1]-فتحي انقزو،هوسرل ومعاصروه،،من فينومينولوجيا اللغة إلى تأويلية الفهم،المركز الثقافي العربي،ط1،بيروت،2006،ص68.

[2]-ادموند هوسرل،أزمة العلوم الأوروبية،المصدر السابق،ص336.

[3]-فتحي انقزو،هوسرل ومعاصروه،المرجع السابق،ص69.

[4] ادموند هوسرل،أفكار ممهدة لعلم الظاهريات ،المصدر السابق.

و توسيع مجال البحث أدى بهوسرل إلى تعميق بحوثه في مجال الوعي ،هذا ما أدى إلى إعتقاد البعض أنه قد حسم ثنائية الفكر والواقع، التي شغلت الفكر الفلسفي لفترة زمنية طويلة.

و بالنسبة للإمكانات الإجرائية التي تقدمها القصدية للمعرفة الفينومينولوجية فنجد أن القصدية تساهم في الكشف عن المعنى الحقيقي للشيء ، و ذلك من خلال البحث في ماهيته وإعطاء معنى "لشيء ما"،حيث يصبح لهذا الشيء معنى ،ما يتيح لنا تحقيق وعي شامل به، كما تساهم القصدية في عملية إحداث ربط بين أفعال الوعي وموضوعاته، بالتالي هي ضمانة لحركة صحيحة للوعي.